

قراءة في كتاب "صدمة المستقبل: المتغيرات في عالم الغد لألفين توفلر"

د. الزهرة بن عائشة

جامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان الجزائر

: الإيميل benaicha_zohra@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2019-08-12 تاريخ القبول: 2019-08-30 تاريخ النشر: 2019-09-15

ملخص:

تعد هذه الورقة البحثية محاولة تسعى إلى مقارنة كتاب "صدمة المستقبل: المتغيرات في عالم الغد لألفين توفلر" مقارنة تحاول تبسيط بعض من القضايا والموضوعات التي تناولها المؤلف. بإبراز مكائنها ومكانة الكتاب ككل في ميدان التأليف العالمي. وسيتم التركيز على قضية ثورة المعرفة بصفة عامة، ثم من جانب سوسيو-إعلامي بصفة خاصة. الكلمات المفتاحية: صدمة المستقبل؛ ألفين توفلر.

Résumé :

Cet article tente d'approcher le livre «Le choc de l'avenir: les variables du monde de demain» d'Alvin Tofler, une approche qui tente de simplifier certains des problèmes et sujets traités par l'auteur. En soulignant sa position et celle de l'ensemble des écrivains dans le domaine de l'auteur mondial.

en se concentrant sur la question de la révolution de la connaissance en général, sous son aspect socio-médiatique .

MOTS CLES : Le choc de l'avenir ; d'Alvin Tofler.

. مقدمة:

يهم كتاب "صدمة المستقبل" -حسب مقدمة الكاتب- بالدراسة موضوع التغيير، وعن السبل التي نستطيع بها أن نتكيف، أو نحقق في التكيف مع المستقبل؛ وبالتالي فموضوع الكتاب هو الحديث عن المستقبل. وبالتالي فقد عني بتلك الخطوات التي سنخطوها في طريقنا إلى ذلك الغد.

إنها تعالج أمور الحياة اليومية: المنتجات التي سنشتريها وتلك التي سنطرحها جانبا، الأماكن التي سنخلفها وراءنا، الأحياء التي سنسكنها، الناس الذين يهرولون

بخطوات حثيثة عبر حياتنا. إنها تسبر الصداقة والحياة الأسرية في المستقبل، وتتحرى كنه العديد من الثقافات الفرعية وأساليب الحياة المستجدة، وبالإضافة إلى ذلك، قائمة طويلة من الموضوعات، من السياسة إلى الملاعب، ومن القفز الجوي إلى الجنس.

والذي يجمع كل هذا الشتات- في الكتاب كما في الحياة- هو تيار التغيير المدوّي، ذلك التيار الذي صار من القوة في وقتنا الحاضر بحيث راح يقوض مؤسساتنا ويغير من قيمنا، وبهز جذورنا. (ألفين توفلر، 1990، ص15)

إن التغيير هو العملية التي يغزو بها المستقبل حياتنا. وإنه لأمر بالغ الأهمية، أن نمنع النظر، وعن قرب في هذه العملية، ليس فقط من الجانب العريض لمسيرة التاريخ ولكن أيضا من خلال الأفراد الأحياء الذين يعانون هذه المسيرة.

(ألفين توفلر، 1990، ص15)

إن التسارع الرهيب، الذي أصبح الصفة اللاصقة بعملية التغيير في وقتنا الحاضر، قد أصبح بحد ذاته قوة أساسية. فلهذا الاندفاع المتسارع تأثيراته الذاتية ومعقباته الخطيرة في النواحي النفسية والاجتماعية. (ألفين توفلر، 1990، ص16)

والكتاب يقدم أول محاولة منهجية لاستكشاف هذه التأثيرات؛ وعليه يأتي هذا المقال لعرض أهم هذه التأثيرات، من خلال الإشارة إلى أهم الموضوعات والقضايا التي عالجها الكاتب. وأهم النقاط التي سيركز عليها المقال هي:

التعريف بالكاتب والكتاب،

نبذة عن المترجم،

ملخص للكتاب،

بعض القضايا والأفكار الواردة في أقسام الكتاب،

. التعريف بالكاتب والكتاب:

ولد توفلر، ألفين في مدينة نيويورك عام 1928م، وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة نيويورك، وعمل بروفيسورًا في جامعة كورنيل الأمريكية وجامعة الدفاع الوطنية، ومستشارًا لشركة AT&T من 1970-1969م، وعمل توفلر في السابق مراسلاً للواشنطن، وضمن محرري مجلة الفورتشن، ثم مساعدًا لرئيس تحرير مجلة فورشن، وعمل في المؤسسة الأمريكية لتطوير العلم، والمعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية. ثم عمل فيما بعد عالمًا زائرًا في مؤسسة رسيل سيغ، وأستاذًا زائرًا في جامعة كورنيل، وعضو هيئة تدريس في الكلية الجديدة للبحوث الاجتماعية. وهو عضو في المعهد العالمي للدراسات الاستراتيجية.

وقضى توفلر خمس سنوات من قبل عاملاً في مصنع للمحركات ومسبك للصلب وورش أخرى في مجال الصناعات الثقيلة.

ونظرًا لأعماله كثيرة التنوع فقد رشح عضوًا في الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم، ونال جائزة مؤسسة ماكنزي للكتاب لمساهماته المتميزة في الفكر الإداري في الولايات المتحدة الأمريكية، وجائزة المفتاح الذهبي في الصين، والجائزة المتميزة ريكس دو ميلر ليفيغ في فرنسا، وتم تشريفه من قبل الحكومة الفرنسية والتي رشحته كموجه للفنون والآداب.

وعمل توفلر في شراكة لصيقة مع زوجته المفكرة "هايدي توفلر" الحائزة على الدكتوراه الفخرية في القانون والتي منحت ميدالية رئيس الجمهورية الإيطالية نظير إسهاماتها في الفكر الاجتماعي كمفكرة ومستشارة للمستقبل.

(المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2019)

كما أن كتابات توفلر ألهمت العديد من القادة والزعماء ومنهم آخر رؤساء الاتحاد السوفياتي ميخائيل غورباتشوف ورئيس الحكومة الصينية الأسبق زهاو زيانغ،

ورئيس وزراء ماليزيا السابق مهاتير محمد. كما يعترف بفضله الملياردير المكسيكي كارلوس سليم في مساعده على التنبؤ بالفرص التجارية المستقبلية والتعريف إليها.
(ب. ب. س. نيوز، 2016، ومنصور الجمري، 2018)

. مسرد بأهم أعماله:

1. Toffler, Alvin. Future Shock, Bantman Books, NY,
2. Toffler, Alvin. The Third Wave, Bantman Books, NY, 1980.
3. Toffler, Alvin. Adaptive Corporation, Bantman Books, 1985.
4. Toffler, Alvin. Power Shift: Knowledge, Wealth, and Violence at the Edge of the 21st Century, Bantman Books, 1990.
5. Toffler, Alvin. Creating a New Civilization: the Politics of the Third Wave, Warner Books, 1995.
6. Toffler, Alvin. War and Anti-war: Survival at the Dawn of the 21st Century, Warner Books, 1993.

(المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2019)

. عن الكتاب:

خلال العقود الثلاثة الباقية على بداية القرن الحادي والعشرين، سيصطدم الكثير من عقلاء الناس بالمستقبل، وسيجد الكثيرون من أبناء أغنى الأمم وأكثرها تقدماً عناءً أكثر فأكثر في الوفاء بمتطلبات التغيير المستمر الذي أصبح علامة مميزة لعصرنا، أو بعبارة أخرى، فإنه بالنسبة لهؤلاء، سيصل المستقبل بأسرع مما كان منتظراً. (ألفين توفلر، 1990، ص 23)

بهذه السطور افتتح الكاتب الأميركي "ألفين توفلر" كتابه "صدمة المستقبل" الذي تُرجم حال صدوره عام 1970 إلى معظم لغات العالم، بما فيها العربية. ولم يتوقف حتى اليوم صدور طبعات جديدة من الكتاب، مثلما لم يتوقف تحقق تنبؤاته بصدد تغيرات خارقة في حياة الناس والمجتمعات يحدثها الكمبيوتر، والإنترنت، ووسائل الاتصالات، واستنساخ الكائنات الحية، وهندسة الجينات، كما لم يتوقف تصادم الآراء حول "صدمة المستقبل".

ويحتوي الكتاب على ست أقسام:

القسم الأول: جاء بعنوان نهاية الثبات، وفيه ثلاث فصول: العمر رقم 800، الانطلاق المتسارع، سرعة الحياة.

القسم الثاني: الزوال، وفيه خمسة فصول: الأشياء، الأمكنة، الناس، المنظمات، المعلومات.

القسم الثالث: الجدة، وفيه ثلاث فصول: المسار العلمي، صناع الخبرة، الأسرة الممزقة.

القسم الرابع: التنوع، وفيه ثلاث فصول: أصول فائض الاختيار، طوفان من الطوائف، تنوع في أساليب الحياة.

القسم الخامس: حدود القدرة على التكيف، وفيه فصلين: صدمة المستقبل: الأبعاد البدنية، الأبعاد النفسية.

القسم السادس: استراتيجيات من أجل البقاء: وفيه أربع فصول: في مواجهة الغد، التعليم في صيغة المستقبل، ترويض التكنولوجيا، الاستراتيجيات المستقبلية الاجتماعية. . التعريف بالمترجم:

نشر كتاب "صدمة المستقبل" بالاشتراك مع الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية بالقاهرة، الطبعة الأولى 1970، والطبعة الثانية 1990، من ترجمة محمد علي ناصف وهو صحفي سابق، مؤلف مسرحي وسينمائي.

حائز على جائزة الدولة الأولى للصحافة في المقال السياسي، وعلى الجائزة الأولى لوزارة التربية والتعليم في المسرحية الإذاعية. وعلى الجائزة الثانية في القصة القصيرة والمسرحية ذات الفصل الواحد؛ وقد قدم الكتاب "الدكتور أحمد كمال أبو المجد" وهو وزير الإعلام السابق.

. خلاصة الكتاب:

تتمحور خلاصة الكتاب حول القضية التالية: "أنا نحن البشر إذا لم نستطع أن نتحكم في معدلات التغيير في شؤوننا الخاصة، وفي المجتمع ككل، فإنه مقضى علينا لا محالة بالتعرض للاختيار الجماعي كنتيجة لعجزنا عن التكيف مع عملية التغيير. (ألفين توفلر، 1990، ص16)

في معنى "صدمة المستقبل" لقد كتب المؤلف في 1965 في مجلة "هورايزون" هذا التعبير ليصف به ذلك الإعانت الذي يصيب الأفراد بالتشتت والتمزق عندما يفرض عليهم الكثير جدا من التغيير خلال الوجيز من الزمن. ومنه استهواه هذا المفهوم وراح يبحث لمدة خمس سنوات حتى يجمع لنا هذا الكتاب فقد ارتاد عشرات الجامعات، وقرأ أعداد لا حصر لها من المقالات والأوراق العلمية، وقابل مئات الشخصيات من الخبراء من مختلف النواحي المتفرعة على عملية التغيير التي تعالج مسائل السلوك وموضوعات المستقبل. (جابر بكر، 2019)

فقابل العديد من العلماء الحائزين على جائزة نوبل، ومتخصصون نفسيون، وأطباء ورجال أعمال، ومستقبليون محترفون، وفلاسفة ومعلمون، ولقد أدلى كل منهم برأيه فيما يخصه ويهمه من جوانب التغيير، وكشف كل منهم عما يحسه من هواجس فيما يتصل بالتكيف، ومخاوف المستقبل.

لقد خرج الكاتب من هذه التجربة بحقيقتين مزعجتين للغاية:

أولاً: اتضح له أن صدمة المستقبل لم تعد بذاك الخطر البعيد النظر، بل أصبحت بالفعل مرضا حادا تعاني منه أعداد متزايدة كل يوم، مرضا يتخذ شكل حالة سيكولوجية يمكن أن نصفها-إذا استخدمنا لغة الطب أو الطب النفسي- بأنها "مرض التغيير".

ثانياً: لقد أذهلته فعلا ضآلة ما نعرفه فعلا عن القدرة على التكيف، سواء من جانب هؤلاء الذين يرجون التغييرات الكبيرة في المجتمع، أو جانب من أولئك المفروض فيهم

أن يعدونا للتلاءم مع هذه التغييرات. إن الكثيرين يتحدثون أي من المثقفين يتكلمون بشجاعة عن "التعلم من أجل التغيير" أو عن "إعداد الناس للمستقبل"، ولكننا لا نعرف في الحقيقة ماذا نفعل حيال ذلك؟ وهكذا، وفي نفس البيئة التي تعرض فيها الانسان لأسرع التغييرات التي مر بها على مدى تاريخه كله، نعاني جهلا مثيرا للشفقة بالوسائل التي تمكن الانسان من التلاؤم والتكيف مع هذه التغييرات.

(ألفين توفلر، 1990، ص 16-17)

إن أخصائيين النفسيين ورجال السياسة على السواء، يعانون من الحيرة إزاء ما يديه أفراد بعينهم وجماعات معينة، من مقاومة تبدو وكأنها غير معقولة للتغيير. وهنا جدير بالمرء أن يتساءل: لماذا يتحرق رجال، بل يتحرقون شوقا إلى التغيير، ويبدلون كل ما يملكون من طاقات من أجل أن يتحقق، في حين أن آخرين يفرون منه وكأنه وباء أو وحش مفترس؟! (ألفين توفلر، 1990، ص 17)

إن الباحث عجز عن تقديم إجابات حاضرة على مثل هذه التساؤلات، بل اكتشف أيضا أننا لا نملك أية نظرية مقنعة عن التكيف، وبدون مثل هذه النظرية يصبح احتمال معرفتنا لمثل هذه الإجابات احتمالا بعيدا معنا في البعد.

إن هدف هذا الكتاب-من ثم- هو المعاونة على أن تتوافق مع المستقبل، وأن نتكيف بفعالية أكثر مع التغييرات التي تواجه الفرد والمجتمع عن طريق تعميق فهمنا لكيفية تجاوب الانسان معها، هذه الغاية التي يقدم هذا الكتاب من أجلها نظرية جديدة عن التكيف. (ألفين توفلر، 1990، ص 17)

. بعض القضايا الواردة في أقسام الكتاب:

مما لا شك فيه أن الكتاب غزير بأفكاره وقضاياها المواكبة لعصر الكاتب وحتى السابقة لأوانه، وهذا لب الكتاب وهو الحديث والتنبؤ بتلك الظواهر التي ستعيشها البشرية على مدى السنين اللاحقة؛ والكتاب يفوق عدد صفحاته الخمسمائة، ولذا من الاستحالة الامام بجل الافكار لذا سيتطرق المقال إلى بعض القضايا المتعلقة

بمجال التخصص وسيتم التركيز على موضوعي التغيير والمعرفة، في الجانب الاجتماعي -الاعلامي .

. التغيير وزوال الثبات:

يتضمن القسم الأول ثلاث فصول، وقد جاء هذا القسم تحت عنوان نهاية الثبات وهو إشارة إلى مفهوم التغيير، في فصله الأول يتناول "العمر رقم 80"، وهنا يتحدث عن التغيير وموجاته التي تكتسح المجتمعات المتقدمة صناعيا بعنف متفاهم وسرعة متزايدة.

ويشير الباحث إلى بعض مظاهر هذا التغيير المستحدثة من الجامعات الحرة، إلى المدن العلمية ونوادي تبادل الزوجات في كاليفورنيا، كما أيضا تستولد شخصيات شاذة أطفالا في الثانية عشر لا يبدون كأطفال، ورجال في الخمسين يبدون كأطفال في الثانية عشر، كما أن رجال أثرياء يجدون متعتهم في انتحال صفة الفقر، ومبرمجو عقول إلكترونية يتعاطون عقار الهلوسة، هناك كهنة متزوجون وقساوسة ملحدون، ويهود بوذيون ودور سينما للشواذ، والمنبهات والمهدئات والغضب، والنسيان، والكثير من النسيان.

ويضيف إلى أن هذه الظواهر المستحدثة لا بد لنا من تفسيرها باللجوء إلى غياهب التحليل النفسي، أو إلى الصيغ المصطنعة المظلمة للوجودية؟. ويقول أن مهما كان الأمر مستعصيا علينا إدراك ما يحدث سيغدو وأقل غموضا إذا ما نظرنا نظرة جديدة إلى معدل التغيير الذي يجعل الواقع يبدو أحيانا كالحيال المجنون.

(ألفين توفلر، 1990، ص24)

كما أن التغيير المتسارع لا يقرب أبواب الصناعات والشعوب فحسب ولكنه يتغلغل في أعماق حياتنا الشخصية، ويرغمنا على أن نلعب أدوارا جديدة ويواجهنا بأخطار مرض نفسي جديد عنيف مدمر هذا المرض يمكن أن نسميه "صدمة المستقبل".

وبعض المعرفة بمسبباته وأعراضه تساعد بلا شك، على تفسير بعض الأشياء التي ستبدو دون ذلك وكأنها تتحدى أي تحليل عقلائي. (ألفين توفلر، 1990، ص24) .
المعرفة كوقود:

يشير الباحث في هذه الأخيرة، أن معدل اختزان الانسان للمعرفة النافعة بنفسه وبالكون يتزايد، فقد عرف قفزة نوعية باختراع الكتابة، وظل هذا المعدل منخفضا لعدة قرون والقفزة العظيمة التالية في القرن الخامس عشر باختراع الطباعة، فقبل سنة 1500، لم يتجاوز انتاج أوروبا من الكتب ألف عنوان سنويا.

(ألفين توفلر، 1990، ص45)

وهذا يعني أن تكوين مكتبة فيها مئة ألف عنوان يحتاج حواي مئة عام، أما سنة 1950 أي بعد أربع قرون ونصف، قفز الرقم إلى 120 ألف عنوان تنتجها أوروبا سنويا، أي ما كان يحتاج إلى مئة عام أصبح لا يحتاج أكثر من عشر أشهر فقط. وبعد عشر أعوام أي 1960 قفز وأصبح من الممكن اتمام العمل في سبع أشهر ونصف فقط، أي ألف عنوان في اليوم.

وبالرغم أن ليس كل كتاب يمثل كسبا صافيا لتقدم المعرفة، إلا أن الثابت هو أن الارتفاع المتسارع في معدل نشر الكتب يوازي بشكل عام معدل اكتشاف الانسان للجديد من المعرفة؛ ومثال ذلك أن عدد العناصر الكيميائية التي كانت قبل زمن غوتنبرغ 11 عنصرا، واكتشف العنصر 12 (الإثمد) حوالي الوقت الذي كان تصنع فيه ماكينته، وكان قد مضى على اكتشاف العنصر 11 (الزرنيخ) 200 عام، فلو فرضنا أن هذا المعدل استمر لما استطعنا خلال 400 سنة بعد غوتنبرغ أن نضيف أكثر من عنصرين او ثلاث عناصر إلى القائمة، ولكن الذي حدث بالفعل هو أننا اكتشفنا خلال هذه الفترة حوالي 70 عنصرا جديدا. ومنذ سنة 1900 ونحن نفصل هذه العناصر ليس بمعدل واحد كل مائتي عام، ولكن بمعدل واحد كل 3 أعوام فقط، والمعدل ما يزال يحقق ارتفاعا حادا. (ألفين توفلر، 1990، ص45)

ومثال آخر يضربه الباحث، بأن عدد المقالات والمجلات العلمية يتضاعف مرة كل 15 عام في الدول المتقدمة أي في نفس الفترة التي يتضاعف فيها انتاجها الصناعي، ثم دخل الكمبيوتر وأصبح قوة عظمى في تحصيل المعرفة، ثم الجمع بينه وبين أدوات التحليل المتزايدة القوة في رصد ومراقبة الكون الغامض فيما حولنا، ارتفعت معدلات السرعة في الحصول على المعرفة إلى درجة مذهلة، لقد قال "فرانسيس بيكون": "إن المعرفة هي القوة"، أما بلغة العصر فإن المعرفة هي "التغيير".

(ألفين توفلر، 1990، ص46)

فالتحصيل المتسارع للمعرفة التي تغذي محرك التكنولوجيا الهائل يعني تسارع التغيير.

إن التسارع هو واحد من أهم قوانا الاجتماعية وأقلها منا فهم واستيعابا. كما أن التسارع هو أيضا قوى سيكولوجية كبرى، ويكاد علم النفس أن يتجاهله تجاهلا تاما، إن معدل التغيير الذي يجري في العالم حولنا، يزعزع من توازننا الداخلي، فالتسارع في خارجنا يترجم إلى تسارع في داخلنا. إننا نميل بطبيعتنا إلى التركيز على موقف واحد في الوقت الواحد، وسنجد أن ارتفاع معدل المواقف التي تمر بنا وقد عقد إلى حد كبير من بناء حياتنا بأكمله، وضاعف من عدد المهام التي ينبغي لنا ان نؤديها وعدد الاختبارات التي لا بد وأن نحسمها، وهذا بدوره سيزيد من احساسنا الاضطراب بتعقد الحياة المعاصرة. (ألفين توفلر، 1990، ص49)

وبالإضافة فإن التدفق السريع للمواقف، يتطلب عملا أكثر من أجهزة التنبيه المعقدة فينا والتي تمكننا من الانتقال من موقف إلى موقف، فالانتقالات المفروضة عليها تزداد، والوقت المتاح للنظرة الهادئة في الموقف الواحد يتقلص أكثر فأكثر، وهنا يكمن السر في الشعور المبهم من قولنا أن الأشياء تتحرك بسرعة أكبر وهذا صحيح. (ألفين توفلر، 1990، ص49)

وفي نقطة أخرى عن الانطلاق السريع، يتناول المعنى المجازي حالات البروجيريا Progeria، ويعني به المجتمعات المتقدمة تعاني من مثل هذا المرض "أي التقدم في السن"، وليس يعني أنها تشيخ، ولكن الذي يعنيه أنها تعاني من ارتفاع غير عادي في سرعة لتغيير. (ألفين توفلر، 1990، ص33)

. خاتمة:

مما لاشك فيه أن مراجعة وقراءة كتاب "صدمة المستقبل" لألفين توفلر، يستكشف من خلاله القارئ والباحث أن المؤلف انتهج سبيل مغايرة وجدية في دراسته للحضارة، مقارنة بما كتب وألف ودرس في هذا المجال من أمثال كتاب "مجتمع ما بعد الصناعة" لـ "دانييل بيل"، و"إصدارات" "نيسبت" عن التوجهات الكبرى وتطبيقاتها في المجتمع الأمريكي، وبالذات كتابه "التوجهات الكبرى 2000" وكتابه الأحدث 1996 عن التحولات الكبرى في آسيا، وكيف ستشكل صورة مستقبل العالم. أو حتى بعض من الكتاب الذين تناولوا جانباً معيناً من صور وأشكال الموجة الثالثة، مثل كتاب ديتشوالد وفلور عن "موجة العمر"، وكتاب "ما وراء المعلومات".... وغيرها.

قائمة المراجع:

1. ألفين توفلر (1990)، صدمة المستقبل. ترجمة: محمد علي ناصف، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، مصر، ط2.
2. المنظمة العربية للتنمية الإدارية (2019)، ألفين توفلر. منشور على الموقع الإلكتروني، تاريخ الولوج: 2019/09/08، ساعة الولوج: 9:33
<https://www.arado.org/ManagementNews/archives/11458>
3. ب. ب. س. نيوز (2016)، تقرير عن وفاة عالم الاجتماع الأمريكي ألفين توفلر. 30 يونيو/ حزيران، 2016، للاطلاع عليه انظر:
http://www.bbc.com/arabic/artandculture/2016/06/160629_alvin_toffler_dies

4. منصور الجمري (2018)، "ألفين توفلر" تنبأ بـ"الموجة الثالثة" التي تمر بها البشرية. الوسط 2018، منشور على الموقع الإلكتروني، تاريخ الولوج: 2019/09/08، ساعة الولوج: 9:33

<http://www.alwasatnews.com/news/1132813.html>

5. جابر بكر (2019)، ألفين توفلر الذي رأى أن البشرية بحاجة إلى موجة حضارة ثالثة. منشور على الموقع الإلكتروني، تاريخ الولوج: 2019/09/08، ساعة الولوج: 9:33 <https://alarab.co.uk>